منهجية التفكير

كما يبرزها القرآن الكريم

الدكتورة

رقية محمد عبد الفتاح الشماع

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حقاً فتق السموات و الأرض بعد أنه كانتا رتقاً و أصلي و أسلم و أبارك على المبعوث رحمة و رشداً أدى الأمانة فكان للعالمين نـــذيرا صـــدقا وبعد :

فلقد أمرنا الله سبحانه و تعالى بالتدبر في كتابه أمراً يأتي في مساق الاستفهام و النفي الإنكاري [١] فقال عز و جل ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٢] فالآية توري بطريقة غير مباشرة و تكنى بأن حاصل من لا يتدبر هو الختم على قلبه و العياذ بالله و هكذا تصبح الحالة الفكرية السلبية مؤشراً على الحالة الإيمانية السلبية فيما نفهمه من هذه الآية من الكتاب الكريم [٣] لكن ماذا عن المنهج النبوي الشريف إننا نجد الرسول – صلى الله عليه وسلم هو سيد المتفكرين حين فاجاؤه الحق و هو في غار حراء بقوله "ا قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ " هذه الآية التي تدعو لأن يتفكر الإنسان في مراحل خلقه و نقله من طور إلى طور حتى أصبح في أحسن تقويم فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله عز و جل﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ ويل لمن قرأهن

---

(١) http://www.alrashad.org/الدراسات/منهجية-التفكير-كما-يبرزها-القرآن.html

(٢) سورة محمد (٢٤)

(٣) http://www.alrashad.org/الدراسات/منهجية-التفكير-كما-يبرزها-القرآن.html

ولم يتدبرهن [١] كل هذا إن دل فإنما يدل على ربط الحالة الإيمانية بالحالة الفكرية فالمراد التفكر العقلي الخالص و التأمل الذهني العميق المفضي إلى الكسب المعرفي الصحيح الذي يوطد الإيمان و يزيده فالسبب الرئيسي الذي دعي قلمي ليخط هذا البحث هو أن للتفكر منهجا سامياً مستمداً من القرآن الكريم حيث ينعي القرآن الكريم على كل من أغلق عقله و لم يعي و لم يتدبر فيما أنزل من آيات في صفحات هذا الكون العميق و فيما يلي أوضح منهجي المتتبع في كتابه هذا البحث حيث إنه منهج موضوعي يبين موقف القرآن الكريم من العقل و خصائص التفكير المنهجي في القرآن و نعى القرآن على الغافلين عن التدبر ثم أعرض خطة هذا البحث و تشمل مقدمة و فصلين المقدمة تشتمل على :

١- **سبب اختيار هذا الموضوع**

٢- **بيان أهميته**

٣- **عرض خطة البحث**

٤- **توضيح المنهج المتتبع في هذا البحث**

الفصل الأول و يشمل مبحثين :

المبحث الأول :

أولاً : مفهوم العقل

ثانياً : مفهوم التفكير

(١) الأصبهاني في الترغيب والترهيب كتاب الترغيب في التوكل باب في الترغيب في التفكر في آلاء الله –عز وجل– وخلق السموات والأرض ج١ ص٣٨٧ رقم الحديث٦٦٦

المبحث الثاني :

أولاً : موقف القرآن من العقل

ثانياً : وجوب المحافظة على العقل

ثالثاً : خصائص التفكير المنهجي في القرآن الكريم

الفصل الثاني و يشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حث القرآن على استعمال العقل في الاستدلال على وجـــود الله تعالى

المبحث الثاني : نعي القرآن على من أقفل قلبه عن التدبر

المبحث الثالـث : الرد على من زعم أن القرآن الكـــريم يلغـــي العقـــل و يخضعه للنصوص الدينية .

المبحث الأول

أولاً : مفهوم العقل

هو ما يعقل به حقائق الأشياء قيل محلة الرأس و قيل محلة القلب [١]

ثانياً : مفهوم التفكير

الفكر بالكسر تردد القلب بالنظر و التدبر لطلب المعاني ولي في الأمر فكرٌ أي : نظر و روية و يقال : الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً [٢]

---

(١)) التعريفات للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني مع فهرست تعريفات و مصطلحات لغوية وفقهية و فلسفية جمعت من أمهات الكتب الفلسفية و الفقهية و اللغوية و رتبت على حروف الهجاء من الألف إلى الياء مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح – بيروت – طبعة ١٩٨٥ م ص ١٥٧

(٢)) المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد الفيومي الحموي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ اعتنى به و راجعه أحمد جاد ط: دار الغد الجديدة القاهرة – المنصورة الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ص٢٧٧ باختصار .

المبحث الثاني

أولاً : موقف القرآن الكريم من العقل :

القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم و التنبيه إلى وجوب العمل به و الرجوع إليه ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ و الدلالة و تتكرر في كل معرض من معارض الأمر و النهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أويلام فيها المنكر على إهماله عقله و قبول الحجر عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها و خصائصها ، و تتعمد التفرقة بين هذه الوظائف و الخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته فلا ينحصر خطاب العقل في ا لعقل الوازع ولا في العقل المدرك و لا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق و الحكم الصحيح بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له [١] الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة إذ هي جميعاً مما يمكن أن يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك و العقل المفكر الذي يتولى الموازنة و الحكم على المعاني وا لأشياء فالعقل في مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور و المنكر ، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة " عقل " التي يؤخذ منها العقال ، و تكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين من البشر فإن كلمة " مايند" " mind " و ما خرج من مادتها في اللغات الجرمانية تفيد معنى الاحتراس و المبالاة و ينادي بها على الغافل الذي يحتاج إلى

---

(١) التفكير فريضة إسلامية عباس محمود العقاد منشورات المكتبة العصرية (صيدا – بيروت.). من ص ٧–٨

تنبيه و نحسب أن اللغات في فروعها الأخرى لا تخلو من كلمة في معنى العقل لها دلالة على الوازع أو على التنبيه و الاحتراس و فريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني (١)

بكل ما احتواه من هذه الوظائف فهو يخاطب العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم و العقل الرشيد ولا يذكر العقل عرضاً مقتضباً بل يذكره مقصوداً مفصلاً على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان فمن خطابه إلى العقل عامة و منه ما ينطوي على العقل الوازع قوله تعالى في سورة البقرة " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (٢) ، (٣)

(١) ص ٨،٩ التفكير فريضة إسلامية للعقاد

(٢) سورة البقرة آية (١٦٤)

(٣) التفكير فريضة إسلامية للعقاد ص٩

ثانياً : **وجوب المحافظة على العقل** :

من أنواع المصالح المقصودة بالتشريع مرتبة الضروريات و هي : كل أمر لا بد منه لقيام مصالح الدين و الدنيا بحيث إذا فقد لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد و هلاك و في الآخرة على خزي و ندامة و خسران مبين و تلك الضرورات خمس : الدين ، و النفس ، و العقل ، و المال ، و العرض و جاءت الشريعة لحفظها بأمرين :

الأول : ما يقيم أركانها و يثبت قواعدها

الثاني : ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع و عليه فشرعت : لحفظ العقل إباحة الأسباب التي يدوم بها و يبقى ببقاء الإنسان مستعملاً له فيما يعود عليه بالنفع في الدنيا و الآخرة و حرمت ما كان سبباً في إزالته أو إلغائه، مما للمكلف فيه اختيار كإزالته بتعاطي المسكرات و أوجبت العقوبة فيها و كذلك منعت شرب القليل من الخمر و إن لم يسكر تتميماً في حفظ هذه الضرورة ، وذلك سداً للذريعة و العقل سبب التكليف و أساسه ، كما أنه سبب العدل في جميع التصرفات [1]. فالعقل جوهرة وهبها الله الإنسان و جعله أهلا لمخاطبته جل و علا بالمواعظ و الزواجر و أعد له الجنة إذا امتثل أوامر أو النار إذا خالفها و سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه غالبا عما لاخير فيه ، ومن فقد عقله فقد حياته ، فحياة بلا عقل عدمها خير من بقائها لأن فاقد العقل يوقع بنفسه الضرر و ينزلها منزلة أسفل من منزلة البهائم ، فكم من مجنون قذف بنفسه في المهالك و شق

(١) تيسير علم أصول الفقه تأليف عبد الله بن يوسف الجُديع – بيروت – الطبعة السادسة – ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ / مؤسسة الريان – لبنان –بيروت نشر الجُديع للبحوث و الاستشارات ليدز – بريطانيا ص ٣٠٥ بتصرف

بأوليائه و نغص عليهم حياتهم ، و لذا فإن الله – سبحانه – يعوضه الجنة بما فقده من عقله .

جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم [١] يا رسول الله إني أصرع فأدع الله لي فقال صلى الله عليه وسلم أن شئت فصبرت و لك الجنة و إن شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت : يا رسول الله أصبر و لكني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها ، فكان الصحابة – رضي الله عنهم – بقول بعضهم لبعض من أراد أن ينظر إلى امرأة من أهل الجنة فلينظر إلى هذه المرأة .

فهذه عوضها الله الجنة لما أفقدها عقلها فلهذا أعظم دليل على فضيلة العقل ، و يا عجباً من عاقل يسعى في زوال عقله و يعرض نفسه إلى حالة يكون فيها أنزل من حالة البهائم و قد يتسبب في هلاكها ثم إلى النار لقوله صلى الله عليه وسلم " قاتل نفسه في النار " [٢] نعوذ بالله فيتناول المسكرات و المخدرات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح ج٧–ص ١١٦ حديث رقم ٥٦٥٢

(٢) صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر] مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرأبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «[ص:١٤٠] مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» أخرجه البخاري كتاب الطب َ بابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالخَبِيثِ جزء٧ص١٣٩ رقم الحديث٥٧٧٨

التي تنبذ الدين و الأخلاق و العقل و المال و الجسم و الذرية و قد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم و نهى و زجر عن تعاطي المسكرات فقال : " اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر [١] و قد لعن الله في الخمر عشرة فقال صلى الله عليه وسلم في حديث قد سي : " أتأتي جبريل عليه السلام ؟ فقال يا محمد " لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها" [٢]و حقيقة اللعن الطرد و الابعاد عن رحمة الله [٣] فكيف يرضي عاقل لنفسه بتناول ما يكون سبباً لطرده عن رحمة الله .

ثالثاً : خصائص التفكير المنهجي في القرآن الكريم :

الأول : اليقين لا الظن

إنه أهم سمات التفكير المنهجي الموضوعي العلمي أن يكون مبنياً على اليقين و المعرفة الصحيحة ليس على الظن و الهجس و التخمين لأن البناء على الظن كالذي يبني بيته – كما يقولون – على شفى جرف هار وقد وجهنا القرآن الكريم إلى البعد عن الظن والتخمين ، وإلى اعتماد العلم واليقين فقد نعى الله – سبحانه وتعالى – على الكافرين وذكر مقالتهم المرفوضة في قوله – جل وعلا : " إِنْ نَظُنُّ إِلّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ " [٤] والمعنى أن أمر الساعة بالنسبة لمن كفر بها ما هو إلا ظناً لا يصل إلى درجة العلم و أكدوا النفي بقولهم " وَمَا نَحْنُ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الأشربة باب والوجه الثالث ج٤–ص–١٦٢ رقم ٧٢٣١

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ باب وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ ج٤ ص ١٦١ رقم الحديث ٧٢٢٩

(٣) WWW.ALUKAH.NET/SHARIA/0/45407 المحافظة على العقول و تحريم المسكرات الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن بن عبد العزيز الدهيشي

(٤) منهجية التفكير د. علي بن عمربادحدح Hhttp://mmmm0.yoo7.com/t411-topic

بِمُسْتَيْقِنِينَ " [١] أي بموجود عندنا اليقين في أمرها ولا بطالبين له [٢] بالرغم مع ما يشاهدونه من الآيات فى الآفاق والأنفس التي تدل على وقوعها لكنهم اتبعوا الظن و قالوا :

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٣]

ثانياً : الحق لا الهوى

فقد يعرف الإنسان الحقيقة الكاملة بكل أبعادها ، ولكن هواه يغلبه فيتجاهل الحق الذي يعلمه علم اليقين تبعاً للهوى والشهوة و إرضاء لغرور نفسه أو الإستكبار [٤] ،

قال تعالى " ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [٥] . وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٦]

في قوله تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ دلالة على أن القوم كذبوا بالآيات البينات التي جاءتهم . بعد ما استتيقنتها أنفسهم أنها حق لأن

---

(١) سورة الجاثية (٣٢)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للامام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفي ٨٨٥ هـ خرج آياته و احاديثه و وضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي – الطبعة الرابعة ٢٠١١ م – ١٤٣٢ هـ بيروت – لبنان – المجلد السابع ص ١١٠ باختصار .

(٣) سورة المؤمنون (٣٧)

(٤) منهجية التفكير د/ علي بن عمر بادحدح الموقع السابق .

(٥) سورة النمل (١٤) .

(٦) سورة الأنعام (٣٣) .

الجحود لا يكون إلا من بعد المعرفة [١] ، وفي هذا دلالة واضحة على إتباع أهوائهم و تركهم الحق المتضح في الآيات المبصرة التي جاء بها موسى عليه السلام . وعن قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي أنهم لا يكذبونك في السر و يعلمون أنك صادق و كان يسمونه أمينا قبل أن يوحي إليه فلما أوحى إليه كذبوه جحوداً بعد معرفتهم بصدقه [٢]و ذلك طبقاً لأتباع أهوائهم .

ثالثاً : الصدق لا التلون :

و هذه خصيصة مهمة من سمات المنهج في التفكير أن تكون صادقاً في تفكيرك غير متلون متقلب ، بعض الناس يتقلب إما تبعاً للهوى و إما تبعاً للمصلحة في بعض الأحوال ، و هذا من أخطر أنواع سوء التفكير و ما يترتب عليه لأنه خلاصة النفاق .

المنافق إذا حدث كذب و إذا أؤتمن خان ، يظهر شيئاً إيجابياً و يخفي شيئاً سلبياً .. النفاق الكفري إظهار الإيمان و إبطان الكفر النفاق العملي له صور كثيرة: التلون هو أيضاً من العقائد الانحرافية الخطيرة كما هي عقيدة التقية عند أهل التشيع و هذا التلون هو نسف للتفكير المنهجي لأنه لا يتطابق مع الواقع لا

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور و هو مختصر تفسير ترجمان القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ ط ٢٠١٠ م دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان المجلد الخامس صـ ١٩٣ .

(٢) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم للأمام أبي الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الحنفي المتوفي ٣٧٥ هـ تحقيق و تعليق الشيخ علي محمد معوض و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي – كلية اللغة العربية جامعة الازهر ط الأولى ٢٠٠٦ م ١٤٢٧ هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان المجلد الأول ص ٤٨٢ بتصرف

بد أن يكون هناك انسجام بين الواقع و الدعوة و بين القول و العمل و هذه قضية خطيرة جداً [١] قال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾ [٢] أي لو تنافق و ترائي فينافقون و يرائوون [٣]

رابعاً : التخصيص لا التعميم :

التفكير ينبني على حقائق على حصر و استقراء على معرفة دقيقة و يؤدي هذا بالتالي إلى نتائج دقيقة أما التعميم فهو سلاح العاجز الذي لا يريد أن يفكر ، فمن السهل – مثلاً – أن نقول من أمراض العالم الإسلامي إنتشار الأمية كلام عام هل هذا يقودنا أو يساعدنا على أن نوجد حلاً لهذه الأمية ؟ لكن عندما نقول الأمية مشكلة تتجسد في انعدام التعليم كلياً ، وفي انحراف التعليم أحياناً في بعض صوره و في وجود كذا أو كذا ، ثم نبسط هذه الظواهر ، و نجمع المعلومات حولها و الإحصاءات ، حينئذ لا نقول الأمية بهذا الإطلاق العام ، و إنما نشخص و نحدد و لا بد أن نلتزم هذا لأن الدقة هي التي تقودنا إلى تحديد المشكلة ، و لقد تجلت هذه المنهجية الدقيقة في سير الرسل و الأنبياء كما في قصة يعقوب –عليه السلام – و قصة يوسف أخذ على أبناءه العهد [٤] في قوله ﴿ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴾ [٥]

---

(١) منهجية التفكير د . علي بن عمر بادحدح

(٢) سورة القلم (٩)

(٣) زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ط الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م المكتب الإسلامي ج ٨ ص ٣٣١

(٤) منهجية التفكير د . علي بن عمر بادحدح باختصار

(٥) سورة يوسف (٦٦)

فقول يعقوب- عليه السلام - لبنيه ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [١] أي بعدما رأيت منكم ما رأيت إرسال اخو يوسف معكم " حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ " حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله ، أراد أن يحلفوا له بالله و إنما جعل الحلف بالله موثوقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود و تشدد " لَتَأْتُنَّنِي بِهِ " جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به " إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ " ألا أن تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به أو إلا أن تهلكوا [٢] فهذا الأستثناء يدلنا على أنه لا بد أن تخضع للمقاييس الدقيقة و ليس للإطلاقات العامة [٣]

---

(١) سورة يوسف (٦٦)

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٤٦٧ – ٥٣٨ هـ و بحواشيه أربعة كتب :

الأول : الانتصاف للامام أحمد بن المنير الإسكندري

الثاني : الكافي الشاف في تخريج الاحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر

الثالث : حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقى على تفسير الكشاف

الرابع : مشاهد الإنصاف علي شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المذكور رتبه و ضبطه و صححه محمد عبد السلام شاهين – الطبعة الخامسة ٢٠٠٩ بيروت – لبنان – المجلد الثاني ص ٤٦٨ بتصرف

(٣) منهجية التفكير د . علي بن عمر بادحدح الموقع السابق باختصار

خامساً : المسميات لا الأسماء :

أيضا مما يفسد التفكير أن يرتبط الناس بالأوهام ، بل بالأسماء دون الحقائق و المسميات فقد بين – النبي صلى الله عليه وسلم – هذه الحقيقة فقال " ليشربن أقوام من أمتي الخمر يسمونها بغير أسمها " [١] فبعض الناس فيهم سذاجة بمجرد أن نغير لهم الاسم ، و مجرد أن نغير لهم بعض الحقائق يرضون ويسكنون و يألفون ويتأقلمون بل يشجعون و يؤيدون و هذا يدلنا على أن التفكير غير الواعي و غير الرصين يذهب يميناً و شمالاً فالمنافقون قال الله عز و جل في وصفهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [٢] مظاهر فخمة لكنهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [٣] شبههم بالخشب التي قد تآكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها فقد استندوا إلى الإيمان بحقن دمائهم و لكنهم أبطنوا الكفر ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ . [٤]

أي فاحذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم ، فهم لا يسمعون ولا يعقلون أشباح بلا أرواح و أجسام بلا أحلام [٥]

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الصغرىكتاب الأشربة باب منزلة الخمر ج٨ص٣١٢ رقم الحديث٥٦٥٨

(٢) سورة المنافقون (٤)

(٣) سورة المنافقون (٤)

(٤) سورة المنافقون (٤)

(٥) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي راجعه و ضبطه و علق عليه د. محمد إبراهام الحفناوي خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان ط ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م – دار الحديث القاهرة الجزء السابع عشر ص ٣٦٤ / ٣٦٥ بتصرف

سادساً : البحث لا التسليم :

كثيراً ما يكون هناك النفسية التسليمية التي تأخذ الأمور على أنها مسلّمات ، فهنام مسلمات عقدية و مسلمات حكمية شرعية لا إشكال فيها ، لكن هناك اجتهادات بشرية خارجة عن إطار الكتاب و السُنة و الإجماع الذي لا شك في إتباعه و الأخذ به فنجد أن التفكير الموضوعي و التفكير العلمي المنهجي يقتضي منك أن تأخذ الأمور بروح البحث لا التسليم و لا يعني ذلك التشكيك في علم من سبق من أهل العلم و لا في النوايا و إنما العلم رحم بين أهله ففي الأمور البحثية و الأمور النظرية الأصل أن يكون العقل المفكر أو المنهجي عقلاً باحثاً فاحصاً ناقداً و هذه الروح النقدية مهمة جداً فأهم ما يميز العالم قدرته على أن يختبر الأراء السائدة [١] و قد نعى القرآن على الكافرين في عباداتهم للأصنام لتقلديهم أبائهم دون أن يكون هناك أدنى بحث منهم في حقيقة هذه الأصنام قال تعالى " بَلْ قَالُوا إِنّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ " [٢]

أي قالوا في عبادتهم غير الله و استمساكهم بتلك العقيدة " إِنّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا " أي وهم أرجح منا عقولا و أصح فهما " عَلَى أُمَّةٍ " على طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد و تؤم " وَإِنّا عَلَى آثَارِهِمْ " خاصة لا على غيرها و نحن في غاية الاجتهاد و القص للآثار ، و لما علم ذلك من حالهم و لم يكن صريحاً في الدلالة على الهداية بينوا الجار و المجرور ، و أخبروا بعد الإخبار و استنتجوا منه قولهم استئنافاً لجواب من سأل " مُهْتَدُونَ " أي نحن ، فإذا ثبت بهذا الكلام المؤكد أن ما أتينا بشيء من عند أنفسنا ولا غلطنا في الإتباع وا قتفاء الآثار فلا

---

(١) منهجية التفكير د . علي بن عمر بادحدح بتصرف
(٢) سورة الزخرف (٢٢)

إعتراض علينا بوجه هذا قولهم في الدين بل في أصوله التي من ضل في شيء منها هلك ، ولو ظهر لأحد منهم خلل في سعي أبيه الدنيوي الذي به يحصل الدينار و الدرهم ما اقتدى به أصلاً و خالفه أي مخالفة ما هذا إلا لمحض الهوى و قصور النظر (١)

سابعاً : **المنهج لا الأشخاص** :

و هذه قضية مهمة في التفكير المنهجي ، لأن كثيراً من الناس يجعلون تفكيرهم مرتبطاً بمن عظم عنده من الأشخاص ، سواء عظم فى علمه أو عظم في فضله أو سابقته ، ولا يعني هذا المبدأ الذي نقوله : أن نقدح في الأشخاص أو ننقص من أقدارهم لكننا نقول : إن كان قدرهم عالياً فإن قدر المنهج و الحق أعلى من قدار الرجال و الرجال يعرفون بالحق و ليس الحق يعرف بالرجال و لذلك قال الله تعالى : " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " (٢) و لذلك أيضا الله – عز و جل – ذكر في القرآن آيات في شأن النبي صلى الله عليه وسلم تبين للناس أن عظمة النبي عليه الصلاة و السلام وهي أعلى عظمة بشرية يرتبط بها المسلم ، لكنها لها أيضاً حدها الذي جعله الشرع لها بل قد جاءت الآيات القرآنية تبين لنا ما ينبغي أن نلفت أنظارنا إليه في هذا المبدأ فقال – جل و علا – " ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (٣) قدمها الله – عز و جل – قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي المجلد السابع ص ١٩ بتصرف
(٢) سورة الحجرات (١٣)
(٣) سورة آل عمران (١٤٤)

لنتذكر بعد ذلك كلمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه " من كان يعبد محمد فإن محمد قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " من الذي قال هــذه الكلمة ؟ هو اقرب المقربين إلى النبي صلى الله عليه وســلم و أحــب احبــاءه و أخلص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

لكنه في الوقت نفسه هو ربيب النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتقــاد الصادق ، و الارتباط الحق بالله – سبحانه و تعالى – و هذه الملامح التي ذكرت بعضها اكتفي بها فيما يتعلق بسمات المنهجية في التفكير القرآني [١]

(١)) منهجية التفكير د . علي بن عمر بادحدح بتصرف

الفصل الثاني

المبحث الأول

حث القرآن الكريم على استعمال العقل

في الاستدلال على وجود الله تعالى

لقد جاءت الأدلة العقلية في كتاب الله عز و جل على إثبات وجوده تعالى و هذه الأدلة كثيرة متنوعة تدعو العقل إلى التدبر في فهم معانيها و اكتفى بذكر دليل منها قوله تعالى " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُواْ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاّ يُوقِنُونَ " [١] أي : بل أخلقوا على هذه الكيفية البديعة و الصفة العجيبة من غير خالق لهم " أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" أي بل يقولون هم الخالقون لأنفسهم فلا يؤمرون ولا ينهون مع أنهم يقرون أن الله خالقهم و إذا أقروا لزمتهم الحجة " أَمْ خَلَقُواْ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ " و هم لا يدعون ذلك فلزمتهم الحجة لهذا أضرب عن هذا و قال " بَل لاّ يُوقِنُونَ " أي ليسوا على يقين من الأمر ، بل يتخبطون في ظلمات الشك [٢] و هذا وإن دل فإنما يدل على قدرة الخالق في خلقه وصنعه من أن كل حادث لا بد له من محدث و أن الأشياء لا توجد من تلقاء نفسها .

---

(١) سورة الطور (٣٥ – ٣٦)

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني وفاته بصنعاء ١٢٥٠ هـ ط عالم الكتب الجزء الخامس ص ١٠١ بتصرف

المبحث الثاني

نعي القرآن على من أقفل قلبه عن التدبر

يقول تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (١)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢)

فدلالة الآية الأولى وجوباً على النظر في القرآن و الاستخراج للمعاني منها " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ " أي يتأملون ، يقال : تدبرت الشيء إذا تفكرت في عاقبته و آخر أمره " الْقُرْآنَ " أي الجامع لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من الباطل على نظام لا يختل و نهج لا يمل .

و لما كان التقدير : فلو كان من عند غير الله لم يخبر بأسرارهم عطف عليه قوله " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ " أي الذي له الإحاطة الكاملة كما زعم الكفار " لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا " أي في المعنى بالتناقض و التخلف عن الصدق في الإخبار بالمغيبات أو بعضها فى النظم بالتفاوت في الإعجاز (٣)

و أما الآية الثانية من قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ فقد نعى القرآن على من أغلق قلبه و فكره عن تدبر آيات القرآن الحكيم ، بل على قلوب أقفال أقفلها الله – عز و جل – عليهم فهم لا يعقلون فالأقفال هنا

---

(١) سورة النساء(٨٢)

(٢) سورة محمد (٢٤)

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج ٥ ص ٣٤٠باختصار

إشارة إلى أنه لا يدخل قلوبهم الإيمان و لا يخرج منها الكفر و العياذ بالله لأن الله تعالى طبع على قلوبهم [١]

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي راجعه و ضبطه د / محمد إبراهيم الحفناوي أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة و القانون بالقاهرة – خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة و القانون بطنطا ط : دار الحديث القاهرة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م – ج ١٥ ص ٥٢٩ بتصرف

المبحث الثالث

الرد على من زعم أن الإسلام يلغي العقل ويخضعه للنصوص الدينية . المدونة في القرآن و السنة والمفروض في ظنهم أن يحكم العقل في كل شيء حتى في القرآن وأن مالا يقبله العقل من الشرع غير مقبول .

وجوه إبطال الشبهة :

(١) أولى الإسلام العقل عناية فائقة حتى ساق الكثرة المطلقة من أحكامه مصحوبة بالحكم التي توخاها الشارع منها .

(٢) لم يلغ الإسلام العقل ، و إنما أمر بإعماله فهو مناط التكليف و قد حث القرآن على النظر و التفكر ، و دعا للتدبر و التعقل و أنكر على الذين لا يعملون عقولهم قائلاً : ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (١)

(٣) لا تعارض بين صريح المعقول و صحيح المنقول في الإسلام و تقديم النقل على العقل من مبادئ أهل السنة و الجماعة عند التعارض بينهما

(٤) لفهم النص القرآني أصول و ضوابط و إعمال العقل في القرآن و السنة ليس للحكم على صحتهما و إنما لتوثيق نسبتهما إلى الله و رسوله و إيضاح ما فيهما من دقائق المعاني و رقائق الهدى .

التفصيل :

أجل الإسلام العقل و قدر المنطق ، فذلك أدعى للأمتثال و تمام التسليم و لكن إعمال العقل في النصوص الشريفة – القرآن و السنة– ليس مطلقاً و إلا أدى ذلك إلى التحزب و التفرق و هذا ما لم يدع إليه الإسلام .

---

(١) سورة يس (٦٨)

أولاً : منزلة العقل و حدوده في تصور الإسلام :

القرآن يهدي العقل في عدة أمور :

- في مسائل الإيمان
- في مسائل الأخلاق
- في مسائل التشريع

فقد جاء الدين هادياً للعقل في مسائل ما وراء الطبيعة ، أي : العقائد الخاصة بالله – سبحانه و تعالى – ورسله – صلوات الله عليهم – و باليوم الآخر و بالغيب الإلهي على وجه العموم.

و كذلك جاء هادياً في مسائل الأخلاق ، أي : الخير و الفضيله و ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني ليكون الشخص صالحا ، فمن الناس من هو عبد المال أو الجاه أو السلطان ، و هدي هؤلاء هو السلطان و الشافي هو الدواء و هكذا .

فخلطوا الوسيلة بالغاية ، فقالوا : إن الدواء هو الشافي و الشرع يقول أن الشافي هو الله ، ولا يحصل الشفاء إلا بأمره و هكذا في كُل أمور الدُنيا ، فالعقل إذن ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية لأن النفس تدخل في عالم الغيب الذي لا يخضع لحواس الإنسان و الخطأ و الصواب من علم الأخلاق نختلف عليه لو استعملنا عقولنا فقط .

وقصة العبد مع سيدنا موسى دليل رائع على القصور البشري في إدارة الخير و الشر ، و أن الحواس لا تدرك إلا جزءاً يسيراً من الحقيقة و أن العقل يعجز عن إدراك أطوار لا يدركها إلا القلب و لذلك نزلت الشرائع و الأديان السماوية بما يدخل في عالم الغيب و ما يتصل بالسلوك الذي يعجز عن إدراكه العقل ، و هي تدعو إلى التسليم و الانقياد و العبودية المطلقة لله جل شأنه .

جاء الإسلام كذلك هادياً في مسائل التشريع الذي ينتظم بـــه المجتمـــع ، وتسعد به الإنسانية مستقلا بنفسه ، فإنه لا يصل فيها إلى نتيجة يتفـــق عليهـــا الجميع ، فالمسائل المتعلقة بالعبادات كالصلاة والصـــوم والزكـــاة والحـــج أي: الخصائص المتعلقة بالعبودية قطعا تؤدي إلى التسليم و الإذعان .

فلننظر إلى أداء هذه العبادات ، فحركات الصلاة – مثلاً– ليست عشوائية بهذا الشكل ، بل هي مقصودة ، كما إن الأمر بغسل أعضاء معينـــة فـــي أثنـــاء الوضوء لا بد أنه مستند إلى فائدة و حكمة .

ولا شك أن منازل الناس مختلفة في العقل، و أنصباءهم متفاوتة فيـــه ، ومعنى ذلك أن ما يروق لشخص عقلياً ربما لا يروق لغيره ، فكانـــت الشـــريعة بمثابة السفير من الله إلى الخلق عن طريق الوحي و الآيات و المعجزات كذلك .

و من هنا تسقط " لم " و تبطل " كيف " و تزول "هلا" و تذهب "لو" و "ليت " في الريح فلو كان العقل يكتفي به لم يكن للوحي فائدة .

و بالجملة فإن العلم الصحيح الصادق في عالم الهداية الإلهية و التربيـــة الربانية اذ ليس للعقل سبيل إليها وحده ، فالإنسان إنسان بالجانب الروحـــي ، و كلما سما الإنسان روحياً كان أعلى في معاني الإنسانية، و تحديد تلـــك المعـــاني الروحية موكول بالقرب من الله تعالى و ما دام الأمر كذلك فليس للعقل إلا التسليم و الخشوع و الخضوع .

ثانياً : العقل في الإسلام مناط التكليف

و لذلك نعى على من يعطلون عقولهم :

إن العقل عقلان : غريزي و مكتسب

فالغريزي هو ما نسميه بالمقدرات العقلية من فهم و إدراك و فقه واتساق و حسن تصرف و هذا هو مناط التكليف .

و دين محمد – صلى الله عليه وسلم – يقوم على دعائم ثلاثة : الإيمان بالله و النبوة و اليوم الآخر ، لذا قال الأمدي : اتفق العقلاء على أن شرط المكلف أن يكون عاقلاً فاهماً للتكليف، لأن التكليف خطاب ، و الفهم محال على الجماد والبهيمة مثلاً و كذا المجنون و الصبي لقوله النبي صلى الله عليه وسلم : " رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ ، و عن الصبي حتى يحتلم و عن المجنون حتى يعقل " (١) و مما يدل على اهتمام الشريعة الإسلامية بحفظ العقل أنها حرمت كل ما من شأنه إفساد العقل و إدخال الخلل عليه و هذه المفسدات قسمان :

(١) مفسدات حية : وهي التي تؤدي إلى الإخلال بالعقل ، بحيث يصبح الإنسان كالمجنون الذي لا يعرف صديقاً من عدو و هذه المفسدات هي الخمور والمخدرات و ما شابهها قال تعالى : " إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (٢) .

قال سيد قطب: إن غيبوبة السكر بأي مسكر تنافي اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولاً بالله في كل لحظة مراقباً لله في كل خطوة، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملاً إيجابياً في نماء الحياة وتجددها حافظاً لتكاليف ربه .

(٢) المفسدات المعنوية : وهي ما يطرأ على العقول من تصورات فاسدة في الدين أو الاجتماع أو السياسة أو غيرها ، فتعطيل العقل عن التفكير السليم مفسدة له ، لذا نعى الله عز و جل في كتابه على الكفار ، حيث عطلوا عقولهم عن التفكير ، في آيات الله القرآنية و الكونية قال تعالى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده مسند النساء مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهَ ج٤١ ص٢٢٤ رقم٢٤٦٩٤

(٢) سورة المائدة (٩٠)

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (١)

قال ابن سعدي: "سجل عز وجل عليهم ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول والأسماع، وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة التي لا تسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، بل هم أضل من الأنعام" .

دعوة الإسلام إلى التفكر و النظر :

إن الإسلام يحرر العقل من عقاله ، و من أروع ما يؤثر في هذا الباب عن رسول – صلى الله عليه وسلم – أن الشمس كسفت يوم مات ولده إبراهيم (٢) فظن الناس أنها كسفت من أجله ، فأنكر ذلك حتى لا يقع الناس في رق الخرافات و الأوهام و القرآن الكريم خاطب العقل بكل سبيل قال تعالى " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (٣) و دعا العقل أيضاً للإيمان بالبعث بقياس ا لإعادة على بدء الخلق قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الفرقان (٤٤)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أَبْوَابُ الكُسُوفِ بَابُ الصَّلاَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ ج٢ ص٣٤ رقم١٠٤٣

(٣) سورة البقرة (١٦٤)

(٤) سورة الروم (٢٧)

ثالثاً : **لا تعارض بين المعقول و المنقول** ، و تقديم النقل أوجب عند التعارض :

- **لا تعارض بين العقل و النقل** :

لا شك أن الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – كانوا يدركون أن النقل ، القرآن الكريم ، و السنة النبوية هو القائد الذي لا بد من تسلميه زمام حياتهم ، لكن هذا التسليم لا ينطلق في إطار " اعتقد و أنت أعمي " فقد قال القرآن الكريم : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١) ، والآيات تحث على التفكير والنظر في مئات المواضع في القرآن لذا فهم السلف أن العقل هو الآنية التي يملؤها النقل ، و قد ظهرت بوادر الاختلال عندما جمدت عقول المسلمين عن الإبداع بحجة الاتباع ، بينما ضُج آخرون نحو الغلو في تقدير العقل حتى خاضوا في كثير من مسائل " علم الغيب " ووصلوا إلى الابتداع تحت راية الإبداع ، و ليس هذا بصحيح ، بل ما جاء من عند الله تعالى فهو ثابت ، وكل ما أدت إليه الاجتهادات البشرية فهو خاضع للتغيير .

- **و جوب تقديم النقل عند التعارض** :

يقول ابن تيمية رحمه الله : إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل ، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين نقيضين ، ورفعهما رفع للنقيضين ، وتقديم العقل ممتنع ، لأن العقل قد دل على صحة السمع .

ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ، فلم يصلح أن يكون معارضا للنقل ، فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه ، فلا يجوز تقدمه .

---

(١) سورة محمد (١٩)

فإذا تعارض العقل و الشرع وجب تقديم الشرع ، لان العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به و الشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ، و لا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل ، فتقديم المعقول على الدلالة الشرعية ممتنع متناقض و أما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف ، فقد اتفق أهل الإسلام على ثوابته، فمثلا نقل حروف القرآن، والصلوات الخمس ، و القبلة بالتواتر ، و معلوم أن النقل المتواتر يفيد العلم اليقيني ، فلو قيل بتقديم العقل على الشرع ، و ليست العقول شيئا واحداً لأختلف آراء الناس باختلاف عقولهم في كل مكان و زمان ، بل في البيئة الواحدة أما الشرع فهو في نفسه قول الصادق و هذه صفة لازمة له لا تنفك عنه و لا تختلف باختلاف الناس .

رابعاً : ترشيد القرآن للنظر العقلي :

كان الإسلام – وما زال – دين العقل و البرهان الصادق قال تعالى " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " [١] و على هذا الأساس فقد حفل القرآن الكريم بالآيات التي تدعو إلى التعقل ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾[٢] والابتعاد عن الظن قال تعالى " ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٣]

و قد اتخذ الإسلام في منهجه العقلي خطوات متتالية ترقى بالعقل درجة حتى تفضى به إلى اليقين الديني.

---

(١) سورة النمل (٦٤)
(٢) سورة البقرة (٢٤٢)
(٣) سورة يونس (٣٦)

(١) محاربة الجمود و التقليد قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (١)

(٢) مكافحة المكابرة و العناد و المعاندون هم الذين يرون الحقائق ما ثلة أمام أعينهم ، و لكنهم يكابرون و يختلقون الأكاذيب لطمسها ، و صرف العقول عنها ، قال تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾ (٢)

(٣) النتائج العلمية مؤيدة بالبراهين : بعد مرحلة التدبر يعين الإسلام على الوصول إلى النتائج العلمية مؤيدة بالدليل المنطقي الملموس ، قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ (٣) وقال أيضاً ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ (٤) و هكذا نجد الحقيقة الكبرى مقررة بالبرهان العقلي حتى لا يعتري الناس شك أو إيهام كتقريره مثلاً – لموضوع الوحدانية ، قال تعالى ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ

(١) سورة البقرة (١٧٠ – ١٧١)
(٢) سورة فصلت (٥)
(٣) سورة الأنبياء (٢٢)
(٤) سورة المؤمنون (٩١)

مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ [1] و هكذا يظل القرآن يوالي الحقائق متبوعة بالدليل القاطع و البرهان المبين [2]

(١) سورة النمل (٦٠) و انظر إلى اللآيات ٦١ – ٦٤

(٢) www.bayanelislam.net/suspicion.aspx?id=01-03-0043

انظر : (١) أسئلة العصر المحيرة محمد فتح الله كوبن ، ترجمة أورخان محمد علي ، دار النيل، القاهرة ، ط ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م القرآن و الرسول و مقولات ظالمة د . عبد الصبور مرزوق ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م وانظر (٢) : الإسلام و العقل د . عبد الحليم محمود ، دار المعارف القاهرة ٣ ، ١٩٨٨ ، تغييب الإسلام الحق د. محمود توفيق محمد مكتبة وهبة القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م / منهج السلف بين العقل و التقليد د. محمد السيد الجليند مكتبة العمرانية القاهرة ١٩٩٤ م أقطاب العلمانية في العالم العربي و الإسلامي ، طارق منينه، دار الدعوة ، القاهرة ٢٠٠٠ م .

الخاتمة

و في نهاية هذا البحث لا يسعني إلا قول السلف الصالح فما كان صواباً فمن الله و ما كان خطأ فمني و من الشيطان و خلاصة ما توصلت إليه .

(١) أن القرآن الكريم كرم الإنسان و ميزه بالعقل على سائر المخلوقات .

(٢) أوجب القرآن الكريم حفظ الإنسان لعقله لأنه مناط التكليف فهو مأمور باجتناب كل ما يضر أو يذهب به .

(٣) للتفكير المنهجي في القرآن خصائص عديدة [١] .

(٤) حث القرآن الكريم على استعمال العقول في الاستدلال على وجود الله .

(٥) نعى القرآن الكريم على كل من أعرض و أقفل قلبه عن التدبر و حاصله الختم على قلبه و العياذ بالله .

(٦) أن القرآن الكريم لم يلغ العقل و لم يخضعه للنصوص الدينية و الرد على كل من زعم ذلك .

---

(١) انظر ص(٧ –١٣) من هذا البحث

فهرس المراجع

م	المرجع	المؤلف	تحقيق	الناشر	الطبعة
١	الإسلام و العقل	عبد الحليم محمود	--	دار المعارف القاهرة	١٩٨٨/٣م
٢	أسئلة العصر المحيرة	محمد فتح الله كوبن	ترجمة أورخان محمد علي	دار النيل ، القاهرة	ط ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م
٣	أقطاب العلمانية في العالم العربي و الإسلامي	طارق منينه	--	دار الدعوة ، القاهرة	٢٠٠٠م
٤	الترغيب والترهيب	إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى ٥٣٥هـ)	أيمن بن صالح بن شعبان	دار الحديث - القاهرة	الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
٥	التعريفات مع فهرست تعريفات و مصطلحات لغوية وفقهية و فلسفية جمعت من أمهات الكتب الفلسفية و الفقهية و اللغوية و رتبت على حروف الهجاء من الألف إلى الياء	العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني	--	مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح – بيروت	طبعة ١٩٨٥ م
٦	تغييب الإسلام الحق	محمود توفيق محمد	--	مكتبة وهبة القاهرة	١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م
٧	تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم	الأمام أبي الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الحنفي المتوفي ٣٧٥ هـ	الشيخ علي محمد معوض و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي – كلية اللغة العربية جامعة الازهر	دار الكتب العلمية بيروت لبنان	ط الأولى ٢٠٠٦ م ١٤٢٧ ه
٨	تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل و بحواشيه أربعة كتب الأول : الانتصاف للامام أحمد بن المنير الإسكندري	الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ	ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين	بيروت – لبنان	الطبعة الخامسة ٢٠٠٩م

م	المرجع	المؤلف	تحقيق	الناشر	الطبعة
	الثاني : الكافي الشافي في تخريج الاحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر الثالث : حاشية الشيخ محمد عليان المرز وقي على تفسير الكشاف الرابع : مشاهد الإنصاف علي شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المذكور				
٩	تيسير علم أصول الفقه	عبد الله بن يوسف الجُديع	--	مؤسسة الريان – لبنان - بيروت نشر الجُديع للبحوث و الاستشارات ليدز – بريطانيا	الطبعة السادسة – ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠
١٠	الجامع لأحكام القرآن	ابي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	راجعه و ضبطه و علق عليه د. محمد إبراهم الحفناوي خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان	دار الحديث القاهرة	ط ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
١١	الدر المنثور في التفسير بالمأثور و هو مختصر تفسير ترجمان القرآن	الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ	--	دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان	ط ٢٠١٠ م
١٢	رجال حول الرسول	خالد محمد خالد ثابت (المتوفى ١٤١٦هـ)	--	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان	الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
١٣	زاد المسير في علم التفسير	الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي	--	المكتب الإسلامي	ط الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧
١٤	المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى ٣٠٣هـ)	عبد الفتاح أبو غدة	مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب	الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦

م	المرجع	المؤلف	تحقيق	الناشر	الطبعة
١٥	فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير	محمد بن علي بن محمد الشوكاني وفاته بصنعاء ١٢٥٠ هـ	--	عالم الكتب	--
١٦	القرآن و الرسول و مقولات ظالمة	عبد الصبور مرزوق	--	المجلس الأعلى للشؤون الإسلامي، القاهرة	١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
١٧	المستدرك على الصحيحين	أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى ٤٠٥ هـ)	مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية - بيروت	الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
١٨	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى ٢٤١ هـ)	شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي	مؤسسة الرسالة	الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
١٩	المصباح المنير	العلامة أحمد بن محمد الفيومي الحموي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ	اعتنى به و راجعه أحمد جاد	دار الغد الجديدة القاهرة – المنصورة	الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
٢٠	منهج السلف بين العقل و التقليد	محمد السيد الجليند	--	مكتبة العمرانية القاهرة	١٩٩٤ م
٢١	نظم الدرر في تناسب الآيات و السور	الامام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفي ٨٨٥ هـ	عبد الرزاق غالب المهدي	بيروت – لبنان	الرابعة ٢٠١١ م ١٤٣٢ هـ

المراجع الالكترونية :

http://www.alrashad.org / الدراسات / منهجية-التفكير-كما-يبرزها-القرآن .html

WWW.ALUKAH.NET/SHARIA/0/45407 المحافظة على العقول و تحريم المسكرات الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن بن عبد العزيز الدهيشي

Hhttp://mmmm0.yoo7.com/t411-topic منهجية التفكير د. علي بن عمر بادحدح

www.bayanelislam.net/suspicion.aspx?id=01-03-0043

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

محتويات البحث

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٢٩١١
٢	المبحث الأول	٢٩١٤
٣	مفهوم العقل	٢٩١٤
٤	مفهوم التفكير	٢٩١٤
٥	المبحث الثاني	٢٩١٥
٦	موقف القرآن من العقل	٢٩١٥
٧	وجوب المحافظة على العقل	٢٩١٧
٨	خصائص التفكير المنهجى في القرآن الكريم	٢٩١٩
٩	الفصل الثاني	٢٩٢٨
١٠	المبحث الأول : حث القرآن الكريم على استعمال العقل في الاستدلال على وجود الله	٢٩٢٨
١١	المبحث الثاني : نعي القرآن الكريم على من أقفل قلبه على التدبر	٢٩٢٩
١٢	المبحث الثالث : الرد على من زعم أن القرآن الكريم يلغى العقل ويخضعه للنصوص الدينية	٢٩٣١
١٣	الخاتمة	٢٩٤٠
١٤	فهرس المراجع	٢٩٤١
١٥	فهرس الموضوعات	٢٩٤٤